

خطاب جلالة الملك

بمناسبة تخريج مهندسي معهد الحسن الثاني للبحث الزراعي والبيطرة

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

منذ لحظات وأنا أفكر بماذا سأخاطبكم به، ففكرت في أبنائي الطلبة ولكن يعتقد أن هذا غبن بالنسبة إلي، نظراً لكون ولي العهد سيدي محمد لم يلتحق بعد بالجامعة وقد فكرت أن أخاطبكم بأصدقائي الطلبة ولكن السنة مرت بخير وهادئة ونطلب من الله أن جعلها كما أراد.

وبعد فكرت أن أقول لكم إخواني الطلبة، ولكن هذه الأيام لفظ الاخوان لا أعطيه القيمة اللازمة، لأنه لم يعط المنتظر منه.

فقلت أخاطبكم بأشقائي الطلبة، وقد أردت أن أخاطبكم جالساً لا واقفا لاعطائكم القيمة اللازمة نظراً لكون كلمتي سوف تكون أقرب إلى خطاب جماهيري منها إلى محاضرة، فليس في غرضي ولا من مقصودي أن أقوم أمامكم بدرس جامعي يهم الفلاحة، وما ينبثق عن الفلاحة وما يتخرج من الفلاحة، بل قصدي قبل كل شيء وهدفي هو أننا حينما نخرج كلنا من هذه الساحة واعين تمام الوعي بالدور الذي هو موكول إلى كل واحد منكم كيفما كان التخصص الذي اختاره، وكيفما كان الاتجاه الذي اتجه له.

قال مفكر أوربي معرفاً بالانسان: إن الانسان يتميز عن باقي الحيوانات بعزيمة الموجود على الاستمرار في الوجود، أو رغبة الكون لاستمراره في الكون، وصار يحلل ويفكر فقال: بمجرد ما يولد الرجل ويصبح قادراً على تغذية نفسه والقيام بواجباته ومسؤولياته، أول ما يبدأ به التغذية لنفسه، وهكذا الكون يرغب في استمرار الكون ثم بعد التغذية يفكر في الحاجة وهي النسل ليترك للأرض من يعمرها فيتزوج، وهذه هي الطبقة الثانية من عزيمة الموجود على الاستمرار في الوجود، ويتميز البشر عن باقي الحيوانات بما يأتي بعد أن يكون ضمن لنفسه التغذية ولأبنائه الاستمرار، إذ ذاك يصبح قادراً على التفكير وعلى التدريس وعلى التعليم وعلى كل النشاطات التي ميز الله بها الانسان حينما آتاه عقلا وفكراً، وهكذا ترون حضرات السادة أن أول حلقة من هذه الدوريات الثلاث تتعلق قبل كل شيء بالتغذية وتنتهي إلى التغذية تبتدىء بالتغذية البدنية والجسمية وتنتهي إلى التغذية الفكرية والعقلية، وفي كلا الحقلين نرى أن للمهندسين عامة ولمهندسي الفلاحة خاصة دوراً مهماً جداً عليهم أن يكونوا واعين به تمام الوعي حتى يمكنوا بلادهم ومواطنيهم وأنفسهم كذلك من ترويج معلوماتهم أحسن ترويج في سوق البشرية، سوق البشرية وربما في أغرب الأسواق، تلك السوق التي سيخوضها والتي سيجوبها الفلاحون أنفسهم.

إن مشاكل الفلاحة لا تتعلق فقط بالنباتات ولا بالمغروسات ولا بالماشية ولا بأنواع الحيوانات الداجنة منها وغير الداجنة ولكن قبل كل شيء تتعلق بل تلتصق بنوع خاص من المادة الخام ألا وهو الانسان، الانسان الذي يعمل في الحقل، والانسان الذي يقوم بعملية الفلاحة يختلف باختلاف البيئة التي يعيش فيها، يختلف باختلاف المناخات التي يعيش فيها، فمثلا نرى أن في بلادنا عقليات مختلفة جدا ومتعددة فنرى أن سكان السهول مثلا

يعيرون اهتماماً كبيراً ويعطون قيمة كبيرة لما يملكونه شخصياً وفردياً، ذلك لأن الحياة السهلة التي يعيشونها طول السنة تجعلهم في غنى لا أقول تمام الغنى ولكن في غنى عن خيراتهم وعن عشيرتهم، ونرى بالعكس أن سكان الجبال الذين يعتصمون بالمدن الصغرى لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر مدة الثلوج، الذين ينقطعون عن كل صلة بإخوانهم يميلون أكثر من غيرهم إلى التعايش والحياة الجماعية، ويمكن أن يفكروا جميعاً في أن يملكوا راية للجماعة ويملكون راحة للجماعة ويملكون أشياء مثل هذه جماعة، وهكذا ترون حضرات السادة أنه حتى في البيئة وفي المعيشة سوف تخوضون بحارا وبحارا وبحارا لأنواع البشر وفي أنواع كيفية المعيشة، ان الاسلام هو قانون قبل الديانات الأخرى وقبل القوانين الأخرى، نعم إن الاسلام قانون، لأنه لم يترك جانباً من الجوانب التي تهم الانسان في حياته العامة أو الخاصة إلا ودرسه وتدارسه، فلست من الذين يقولون ستجدون في القرآن كل شيء حتى كيفية تسيير الصاروخ، أقول لا، هذا من المغالاة، وهذا ربما من الاطناب في حق القرآن، القرآن لا يعلمنا كيف نسير الصواريخ ولكن يهدينا بل يحثنا على تعاطي التعلم حتى نصبح أكفاء لمثل هذا أقول في الاسلام ذلك القانون الذي هو أقدم القوانين المكتوبة والموضوعة.

فالفرض ينقسم إلى قسمين فرض عين وفرض كفاية، ففرض العين هو ما يجب على كل عضو في المجتمع الاسلامي أن يقوم به عيناً عينا، وهناك فرض من الفرائض يسمى فرض كفاية، بمعنى أن كل عضو في المجتمع تمكن من تعلم هذا أو تعاطي هذا بالنسبة لعشرة من أمثاله يكفي عن الآخرين، عن كونهم يتعاطون تلك الدراسة أو تلك المهنة، وهكذا نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم رغم أنه ولد وعاش في جزيرة قاحلة لا مياه فيها ولا ثلوج جعل الاسلام من شريعة النبي صلى الله عليه وسلم مثلا من السباحة فرض كفاية، حتى يمكن لكل واحد من المجتمع الاسلامي إذا وقع واقع لاخوانه في البحر أن يقوم بواجبه الاجتماعي نحو أشقائه، فينقذهم من البحر، فذلك جعل الاسلام ويمكننا ان نقول ان الاسلام وان لم يكن ذلك صريحاً في النص جعل التعاطي للفلاحة فرض كفاية، بل نظر الضرورة الماسة فأصبح فرض الكفاية هذا قريباً جداً من فرض العين.

لماذا نعطي الفلاحة هذه الأهمية حتى جعلناها مقرونة بالفرائض، بل وضعناها في سلم فرائض العين، لأنني كما قلت لكم مراراً بعد مرار اذا أراد المغرب وإذا أردتهم انتم الجيل ان تروا بلادكم شامخة ان تروا بلادكم منتجة على الصعيد الجهوي والدولي ان تكون بلاداً مصنعة

ولكن تلك الصناعة ما هي سوقها هل سنصنع ونستورد ونفتقر لا، فكل صناعة لا تجد سوقها الطبيعية والأولى في السوق الداخلي هي صناعة فاشلة غيرناجحة،إذن الفلاحة هي رمز الشروط الضرورية، لتكوين صناعة وبناء صناعة يمكنها أن تعيش وتقوى ومن شأنها أن تضاهي الصناعات الأخرى.

فإذن إذا نحن أردنا أن نجعل لبلادنا الشأن الأعلى بين الأمم والرتبة العليا بين الأمم فعلينا أن نُصنِّعها، وعلينا أن نخلق لها سوقاً داخلية، والسوق الداخلية لبلادنا هي معظم السكان الفلاحين، ولاسيما أن هؤلاء سوف تصبح لهم يوما بعد يوم وبعملكم أنتم وبارشاداتكم أنتم وبأخذكم بيدهم أنتم سوف تصبح لهم قوة شرائية تزداد سنة بعد سنة، وسوف تكون سوق الفلاحين الذين يكونون 70 % في المغرب سوقاً رائجة سوقاً تؤدى أثمانها عالية سوقاً تفيد وتستفيد، سوقاً تجعلنا ننظر إلى صناعتنا بعين التفاؤل لأننا وجدنا لها رواجا في الداخل قبل أن نبحث لها عن أسواق خارج حدودنا ولا سيما أن التغذية ومعناها الفلاحة وإنما أقول الفلاحة لا أقول الخضر فقط بل أقول كذلك الماشية بل أقول البحث العلمي بل أقول جميع النواحي التي تتعلق بالفلاحة بل أقول الصناعة الفلاحية ولا سيما أن هذا الجانب وهذا الجناح الكبير من برامجنا ومن قوانا يتطلب يوما بعد

يوم تقنية تزيد على التقنيات الأخرى وتتطلب ابتكارات واختراعات، فالله سبحانه وتعالى حبانا أرضا معطاء وحبانا شمساً حارة وحبانا مياهاً وأنهارا، فإذا علمنا كيف نستخرج من هذا كله ما يجب أن يستخرج فسوف يكون المغرب إن شاء الله كله وادياً للذهب، لا فقط وادي الذهب منه، بل كله واد للذهب، إن المغرب الذي بنى ماضيه وتاريخه، على فتوة أبنائه والذي بنى أمجاده على ما وجد في أبنائه طيلة القرون من حيوية وحماس وشباب لا ينقطع ولا ينقضي مع مر الأزمان والسنين أن المغرب بلدكم أرضكم التي تطؤونها سماؤكم التي تنظرون مشرئبين إليها ماؤكم الذي هو عذب أعذب من الماء الزلال ان المغرب ينتظر منكم ملحمات وملحمات.

نعم ان كل ملحمة هي غزوة حتى يقع منها من يقع على الأرض حتى يتعثر من يتعثر حتى يفشل من سيفشل ولكن المهم هو أن نصل المهم أن نكد، المهم أن نبقى رجالا إلى النهاية رجالا ونساء أولئك الذين عرف عنهم أنهم كلما أصيب واحد ردَّ الرَّاية لأخيه حتى يمكن لأخيه أن يضع الراية محلها ألا وهو محل وموقع العزة والشرف، تلك العزة وذلك الشرف الذي يحمل كل واحد منا الشيء الكثير منهما في دمه، والشيء الكثير في بدنه.

حضرات السادة

منذ سنوات وأنتم تدرسون بهذا المعهد وستصبحون مرآة بالتعليم الذي أعطى لكم، وستصبحون عربوناً لما ينتظره المغرب من أطر.

والشيء الذي أطلبه منكم هو أنه كيفما كان الحقل الذي اخترتموه، والاتجاه الذي اخترتموه، أعطوا لبلدكم مقامها، واعطوا عنها المرآة اللازمة لها، وأعطوا عنها الذكر الواجب لها.

ولي اليقين أن ذلك الشعور الوطني، المتوقد المتقد، الذي أشعر به كل صباح وكل مساء إزاء وطني ومواطني هو نفس الشعور الذي في قلوبكم وأنفسكم.

وقبل الختام سأوافيكم بأسماء الأفواج الأربعة التي تخرجت :

- الفوج الأول لسنة 1972 سنطلق عليه فوج محمد الخامس.
- الفوج الثاني الذي تخرج سنة 1973 سنسميه فوج رمضان 73
- الفوج الذي تخرج سنة 1974 سنطلق عليه اسم المرحوم الشهيد علال الفاسي.
- الفوج الذي سيخرج هذه السنة سنطلق عليه اسماً عزيزاً علينا وهو شعار في قلوبنا، فوج التحرير.

حضرات السادة، أبنائي أشقائي أصدقائي

كما عرفتم، تلك هي بعض الافكار التي اردت ان اعرضها عليكم، ولا يخامرني شك في أن أفدتكم وأفكاركم تجيش بها، وأنكم تصبحون وتمسون عليها ؛ ولكن قال الله تعالى (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين).

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يهدينا سواء السبيل، ويشدّ عضدنا جميعاً ويسدد خطانا حتى نفتح مدارس ومراكز أخرى مثل هذه ومثل هاتيك فيما بقي من أراضينا مغتصباً حينها نحرره بشجاعتنا وجهودنا وثباتنا



واستشهادنا إذا اقتضى الحال إنه مجيب الدعاء.

والسلام عليكم ورحمة الله

ألقي بالرباط

الخميس 15 جمادى الثانية 1395 — 26 يونيو 1975